
شهر
الصيام والقيام
إعداد
منصور الراشد
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

حياة المسلم كلها فرصة يجب أن يستغلها في طاعة الله ومرضاته؛ لأن العمل الصالح ليس له موسم محدد، ولا مناسبة معينة.. إن أوامر الشرع جاءت عامة في كل زمان ومكان .. وإن بين أيدينا مواسم عديدة، وفرص للعمل كثيرة.. الصلوات الخمس فرصة .. الصيام فرصة .. الزكاة فرصة .. حج البيت فرصة .. جاء رجل من الأزد إلى رسول الله ﷺ فدخل المسجد، وهو لا يعرف رسول الله ﷺ، فسأل: أين ابن عبد المطلب؟ فقيل له: ذلك الرجل المرتفق – أي المتكئ – فدخل المسجد وعرفه .. ثم سأل: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك فمشدد عليك بالمسألة، فلا تجد علي .. فقال له رسول الله ﷺ: «**سل ما بدا لك**»، فقال: من الذي رفع السماء؟ من الذي نصب الجبال؟ من الذي بسط الأرض؟ كل ذلك ورسوله الله ﷺ يقول: «**الله**»، فقال: يا ابن عبد المطلب، فأسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أسألك إلينا نبيا؟ فجلس رسول الله ﷺ وكان مرتفقا فقال: «**اللهم نعم**»، فقال: أسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟ فقال: «**اللهم نعم**»، فقال الرجل: فأسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأخذ من أغنيائنا فتردها على فقرائنا؟ فقال: «**اللهم نعم**». فقال: أسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأمرنا أن نصوم شهر رمضان؟

فقال: «**اللهم نعم**»، فقال: أسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأمرنا أن نحج بيته من استطاع منا، فقال: «**اللهم نعم**»، قال الرجل المرفق: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا أزيد على ما سمعت منك ولا أنقص)، فلما خرج قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أفلح إن صدق**» إن صدق في صلاته وصيامه وزكاته وحجه.. صادقا موقنا.. بنية لله وعمل خالص .. وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال ك «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي على الأرض، فلينظر إلى هذا**».

إنها فرصة فاهتبلها كما قال الأول:

إذا هبـــت رياحـــك فاغتنمهـــا
فـــإن لكـــل خافقـــة ســـكون

ها هي رياح فرصة رمضان قد لاحت لك.. صيام النهار وقيام الليل. تقبل الله منا ومنك، وأزلفنا إلى باب الريان باب الصائمين.

حقا إن رمضان فرصة، من ضيعها، فهو على خطر عظيم.. صعد رسول الله ﷺ المنبر يوما فقال: «**آمين. آمين. آمين**» قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين. قال: «**إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، ولم يغفر له، فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين، فقلت: آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما، فلم يبرهما، فمات، فدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين. ومن ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات، فدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين**».

من لم يتب في رمضان، فمتى يتوب؟ ومن لم يعد إلى الله في رمضان، فمتى يعود؟

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجـــب
حتى عصى ربـــه في شـــهر شـــعبان
لقد أظلك شـــهر الصـــوم بعـــدهما
فلا تصـــيره أيضـــاً شـــهر عصـــيان
واتلُ القرآن، وســـبح فيـــه مجتهـــداً
فإنــــه شــــهر تســــبيح وقـــــرآن
فاحمل على جسد ترجو النجـــاة لـــه
فســـوف تضـــرم أجســـاد بـــنيران
كم كنت تعرف ممن صـــام في ســـلف
من بـــين أهـــل وجـــيران وإخـــوان
أفناهم المـــوت واســـتبقاك بعـــدهم
حيا فما أقرب القاصي مـــن الـــداني
ومعجـــب بثيـــاب العيـــد يقطعهـــا
فأصبحت في غـــد أثـــواب أكفـــان

رمضان يربي في أصحابه الخشية .. الخشية من الله تعالى، ورجاء ما عنده .. ولقد قيل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه لما شرب ماء مبردا بكى واشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ**﴾ [سبا:٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً،

شهوهم الماء. وقد قال الله: ﴿**أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**﴾، فبكى، واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

ولقد دخل رسول الله ﷺ على شاب، وهو في الموت فقال له: «**كيف تجدك؟**» فقال: والله، يا رسول الله، إني لأرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**».

وبكى الحسن، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني في النار، ولا يبالي.

وقال سعد بن الأخرم: كنت أمشي مع ابن مسعود، فمر بالحدادين، وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه، ويبكي.

إنهم يربون في داخلهم الخشية خوفا ورجاء، قال ابن القيم رحمه الله: (وأكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلب الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه) فأبشروا أمل من رب كريم وجواد رحيم .. تعرض لنفحاته، وسارع إليه بالخيرات تجد كريما عظيماً، خصوصا في وقت السحر، حيث هدأت الأصوات، ونامت العيون، وتقلب النوام على فراشهم.. هب حينئذ المؤمنون من وثير فراشهم وسررهم ليكابدوا الليل والتعب.. ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾كما قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد**» والقيام

مع رمضان فرصة، وله فيه مزية «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

قلـــت لليـــل: هـــل بجوفـــك ســـر
عـــــامر بالحـــــديث والأســــــرار
قـــال: لم ألـــق في حيـــاتي حـــديثاً
كحـــديث الأحبـــاب في الأســـحار

ولقد تفنن الأصحاب الكرام والسلف الفاضل في هذه النافلة، فمنهم من أمضى الليل راكعا، ومنهم من قطعه ساجدا، ومنهم من أذهبه قائما أو تاليا أو ذاكرا أو شاكرا.

عباد ليـــل إذا جـــن الظـــلام بهـــم
كم عابـــد دمعـــه في الخـــد أجـــراه

ولقد جاءت حفصة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تسأله عن أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يأخذ من الليل**».

فكان ابن عمر قائما حتى ليلة موته رضي الله عنه.

إن آخر الليل هو وقت نزول الرحمن جل جلاله إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله، فيجيب دعوة الداعي، ويعطي السائل، ويغفر ذنب المذنب التائب «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني، فأستجيب له، من يسألني، فأعطيه، من يستغفرني، فأغفر له**» ما أرحم الله وأكرمه.

هذا في سائر العام، فما بالك برمضان شهر النفحات والهبات.. ولله من العطايا في رمضان ما ليس في دونه. كانت امرأة حبيب توقظه بالليل، وتقول: ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا.

يـــا راقـــد الليـــــل كـــم ترقـــد
قم يـــا حبـــيبي قـــد دنـــا الموعـــد
وخـــــذ مـــــن الليـــــل وأوقاتـــــه
وردا إذا مـــــا هجــــــع الرقـــــــد
مـــن نـــام حـــتى يتقضَّـــى ليلُـــه
لم يبلـــــغ المنـــــزل أو يجهـــــد
قـــل لأولي الألبـــاب أهـــل التقـــى
قنطـــرة العـــرض لكـــم موعـــد

الليل فرصة «**إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» نحن نسيء كثيراً .. والزلل منا أكبر .. ورحمة الله أعظم.. وفي السحر تتجلى هذه الرحمة من العظيم الرحمن سبحانه.

سبحان مـــن يعفـــو ونهفـــو دائمـــاً
ولا يزال مهمـــا هفـــا العبـــد عفـــا
يعطـــي الـــذي يخطـــئ ولا يمنعـــه
جلالـــه عـــن العطـــا لـــذي الخطـــا

ألا، فإنه حري بنا أن نستغل رمضان في النجاة بقلوبنا وحياتنا؛ لنكون على منهج الله، كما قال الحسن البصري رحمه الله: (يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك، فتخسرهما جميعا، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم، وإذا رأيتهم في الشر، فلا تغبطهم فيه، الثواء هنا قليل، والبقاء هناك طول. طَأِ الأرض بقدمك؛ فإنها عن قليل قبرك).

إن الذي يخرج من رمضان، ولم يتلذذ بصيامه وقيامه، فأين هو من نفحات رمضان ؟! إن الصيام والقيام دليل الحب الخالص لله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[السجدة:١٦]، ولقد روى عطاء بن أبي رباح عندما سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أعجب ما رأت من رسول الله ﷺ فقالت: «وأي شأنه لم يكن عجباً، إنه أتاني ليلة، فدخل معي لحافي، ثم قال: «**ذريني أتعبد لربي**» فقام فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع، فبكى، ثم اعتدل، فبكى، ثم سجد، فبكى، ثم رفع رأسه، فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقالت: يا رسول الله، وما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم لا أفعل، وقد أنزل الله عليَّ هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**».

فهنيئا لمن أحب الله ورسوله ﷺ حبا خالصا رائده الاتباع، وسائقه التزود ليوم صبحه ويوم القيامة.. اللهم، صلاحا وفلاحا على طريق محمد ﷺ وأصحابه الكرام. والله، أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.